

مجموعة قصصية

اعترافات آدم

بقلم الدكتورة

ابتسام عبد الصمد درويش



مكتبة نورية الزرد

بطاقة فهرسة

حقوق الطبع محفوظة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : اعترافات آدم

المؤلف : د. ابتسام عبد الصمد درويش

رقم الإيداع : ٢٠١٣/١٧٠٢٢

الطبعة الأولى ٢٠١٣



مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل
ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٤٠٤٦ - ٢٧٨٢٧٥٧٤

عندما نتحدث شهرزاد عن آدم

لم تعد حواء عروسًا حسناء تطل من نافذة قصرها، لقد صارت فلاحه تعمل في حقولها، ومهندسة وطبيبة ومدرسة وعالمة وباحثة وداعية ومفكرة وكاتبة .. ولكن تظل حواء في قرارة نفسها لا تعترف بنجاحها ، ولا تعتبر نفسها ملكة عظيمة تتربع فوق عرشها إلا إذا كان بجوارها آدم ، يحبها ويحترمها ، ويصون حقوقها ، ويساند وجودها ، ويحمي شرفها ، ويقدرها قدرها .

بهذه الكلمات الصادقة استهلت القاصة مجموعتها «اعترافات آدم وحواء» . وأهمية هذه الكلمات تأتي من أن الكاتب .. امرأة ..

لعل المتأمل للإبداع الأدبي خاصة في مجال الرواية والقصة والشعر يلاحظ صعود ظاهرة شاعت تتمثل في تصدي المرأة – الأدبية والمبدعة – لمغالجة فن القصة والرواية .

ويرجع انتشار هذه الظاهرة ، وبروز أسماء نسائية كثيرة خاصة في مجالي القصة والرواية إلى انتشار تعليم المرأة في مختلف أنحاء العالم العربي مع التحرر من الاستعمار القديم ، الذي كان يزرع على معظم

البلاد العربية من ناحية ، وخروج المرأة للعمل من ناحية ثانية وهو ما أدى إلى اتساع تجربتها الحياتية التي حازت تجربة الرجل .

لقد فرض إبداع المرأة نفسه على الساحة الأدبية والثقافية بلا جدال.

في اعترافات حواء وآدم تقدم ابتسام درويش عالمًا تقوم فيه المرأة بأدوار كثيرة تواجه بها حياة قاسية في أكثر الأحوال .. أغلب هذه الاعترافات يظهر جليًا تأثير البيئة والطبقة والأعراف على تصرفاتها .. ولكنها ليست أسيرة لهما .. ففي كثير من الأحيان نجد لها ثائرة عليها ، ذلك أن هموم المرأة فيها تقع في منطقة الصدام بين عالم المرأة وعالم الرجل .

إن هذه العلاقة بين الرجل والمرأة تتأثر في إطارها العام بتأثرات البيئة والطبقة الاجتماعية إلا أن الجانب الذي تركز عليها ابتسام درويش في هذه العلاقة هو الجانب الذي يحتفظ بقدر من الاستقلال في أية علاقة بين المرأة والرجل ، ومهما تكن هذه العلاقة .

إن لحظة الصدام بين المرأة والرجل هي المحرك الأساسي لسلوك كل منهما تجاه الآخر ، والمفجر لشتى الانفعالات والمواقف .

الرجل في «اعترافات حواء» يقف بعيدًا عن المنظر .. محكوم عليه من وجهة نظر حواء ، لا نسمع منه ، ولا نعرف عنه إلا ما يخطر ببالها عنه ، أو على الأقل ما يقوله في حضورها .. وهذا بالطبع يكشف جزءًا من الحقيقة .. «والمرأة» في «اعترافات آدم» تراها من وجهة نظره

عكس الأمر السابق تمامًا .

إنّ الحبس الواقعي يغلف قصص هاتين المجموعتين القصصيتين . وأن يجيء ذلك من خلال رؤية «حواء» أي : ابتسام درويش فهذا يعتبر تجربة فريدة .. فهي تعبر عن إحساس المرأة .. والرجل في آن واحد . ولكن هل انحازت «حواء» أقصد «ابتسام» إلى المرأة في هاتين المجموعتين؟ أشك في ذلك .. أرى أنّها التزمت الحيدة في معالجتها للأنماط التي جاءت بها في هاتين المجموعتين .

إن هذه المعالجة الواقعية لمشاكل آدم وحواء جاءت عبر أسلوب شعري أخذ يكشف المشاعر الحقيقية للشخصية مع التأكيد على الدور الاجتماعي الهام الذي يطلع به آدم وحواء لتعبر عن عصر مليء بالتناقضات زاخر بالمشاكل .

إنّ قصص ابتسام درويش هنا تتسم بالمشاعر الجياشة الصادقة مع استخدام اللغة الشعرية المحلقة ، فضلاً عن الاعتناء بالعبارات الرشيقة والجميلة كثيرة التفاصيل ، حيث عبرت عن مشاعر المرأة في انطلاق دون انفلات .. وعبرت في الوقت نفسه عن مشاعر الرجل بصدق وحيدة كاملة حيث تناولته زوجاً أو حبيباً أو صديقاً أو أباً أو أخاً .

إن الكتابة الإبداعية عند ابتسام درويش - وهي طيبة - لم تقتصر على القصة القصيرة فقط .. بل تكتب الشعر .. وقصص الأطفال .. مما يؤكد أن قضية الكتابة بالنسبة لها تمثل حياة كاملة تعيشها بكل كيانها

وهو اجسها ، إنها تفتش بدأب عن أي مشكلة اجتماعية في الواقع المعاش فتعالجها بذكاء وفنية من أجل إقامة كيان أفضل في حياة أفضل تمثل طموحاً لغد أفضل حيث يجب أن ينعم الجميع بحياة تكتنفها السعادة .

إن ابتسام درويش تتقدم لنا بهاتين المجموعتين لتعلن أنها كاتبة ملتزمة بهموم عصرها . وكان من الممكن أن نقدم هنا دراسة عن كل قصة من قصص هاتين المجموعتين ، ولكن أثرت أن يأتي ذلك في مرحلة قادمة حتى لا نؤثر على القارئ ويكون رأيه الخاص والذي لا أشك أنه سيكون في صالح هذه الكاتبة التي تناولت قصصها من خلال الشاعرية المعبقة بروائح الزمان والمكان ، وعطّرت قصصها بنوع من الجمال المبهر .

سمير بسيوني

المقدمة

.....

لم تعد حواء عروسا حسناء تطل من نافذة قصرها ، لقد صارت فلاحه تعمل في حقولها ، ومهندسة وطبيبة ومعلمة وعالمة وباحثة وداعية ومفكرة وكاتبة وناقدة وقاضية وسفيرة راقية ، ولكن تظل حواء في قرارة نفسها لا تعترف بنجاحها ولا تعتبر نفسها ملكة عظيمة تتربع فوق عرشها إلا إذا كان بجوارها آدم يحبها ويحترمها ويصون حقوقها ويساند وجودها ويحمي شرفها ويقدرها قدرها ، ولكن كثيرا ما تصر الحياة على عنادها وتثير غضبها ، ومن هنا جاء حديثها ليعبر عن مواقف عصيبة في حياتها ، وليعبر عن آلامها وهمومها ، وأيضا آمالها في حياة أفضل لأبنائها ولأبناء وطنها ، وكذلك يحكى آدم عن حوائه وعن أسباب غضبه ، ورضائه ، وعن سعادته ، وشقائه ، وعن هموم الصديق والوطن وعن فلسفة بقائه وفي النهاية يتفق آدم مع حواء في أشياء ويختلفان في أشياء وتبقى صلتهم الأبدية قائمة فما لحواء إلا آدم وما لأدم إلا حواء.

اعترافات آدم



الاعتراف الأول

أما عروسة.....!

مرت بجواري مسرعة ، تاركة خلفها عطرها الذى التف حولي وحاصرني و جذبني إلى أرض سحرها ، تسللت عيوني وراء خطواتها، ألقت إلى قلبي بسهامها عندما استدارت ونظرت ورائها وغادرت مع رفيقاتها ، فتعلقت روحي بها ، تمنيت أن أراها مرة أخرى، ليتها تحدثت حتى أشجى أذنى بصوتها ، ليتنى عرفت عنوانها لكنت واعدتها.

مرت أيام وأنا انتظر عند نفس المكان فى ذات الزمان ولكنها لم تأت، يا إلهى لقد افتقدتها ، ثم مرت أيام قليلة ولمحتها قادمة من بعيد، طار قلبي فرحاً ، وكدت أتهور وأعترض طريقها ، لكننى تعقلت وانتحيت جانباً وظللت أرمقها بنظرات كادت أن تفضح مشاعرى نحوها ، كانت تمشى مع رفيقات لها لكننى لم أر غيرها ، كان وجهها

مستديرا كالبدر والابتسامة الساحرة تغريك بتقويل ثغرها ولكنها ذهبت سريعا وأظلمت الدنيا من حولى بعدها ، وتكرر انتظاري لها وعرفت أنه مكان عملها وزاد مع الأيام شوقى لها ، لم أتمنى سوى رؤيتها عن بعد وأن أمتع بصرى بجمالها ورشاقتها وسحر شعرها وهو يتلأ تحت ضوء الشمس وكأنها أميرة أسطورية لا مثيل لها.

بعد عدة أسابيع من رؤيتى لها تحدثت مع إحدى رفيقاتها وصرحت لها برغبتى فى الزواج منها وطلب يدها من أهلها وللغربة نصحتنى رفيقتها بالأفعل وأنها ليست سوى دمية جميلة لا روح لها ، استنكرت هذا الحديث وقلت لنفسى ماهى إلا غيرة النساء ولم أحفل بكلامها.

فى مقر عملها تحدثت لها ، صرحت لها بحبى وطلبت منها الزواج بعد أن تفكر وتأخذ ما تريد من وقتها لكن للعجب أنها صرخت صرخة فرح تعجبت لها ، وجذبتنى من يدى وهرعت بى إلى أهلها ، طلبت يدها وعلى الفور وافقت العائلة وتزوجتها.

لم تكد تمر أيام معدودات حتى فهمت جوهرها ومكنون نفسها ، كنت أحسبها غير ما ظننتها، وجدتها طفلة مدللة فى كل تصرفاتها ، تنام كالطفلة فى مهدها وتصحو والفوضى تلفها ، إذا مشت يسمع الجيران خطواتها وإذا غضبت فلا سبيل لإرضائها ، إذا ضحكت أبقيت النائمى ، وأظهرت أسناناً تثير الغثيان من شكلها ، إذا تحدثت تمنيت لو كنت أصما حتى لا تصاب بالملل من حديثها ، وإذا رأيتم منزلا لقلتم ويل لها ثم ويل لها دعونى أحكى لكم عن طعامها وطريقة طهيها : إنها تقضى الساعات فى المطبخ ثم تخرج كالساحرة الشريرة

في حالة يرثى لها ، الهباب يلطخ وجهها وثيابها ، وإذا رأيتم الطعام داهمتكم ألأم المعدة بتقلصاتنا ، وإذا كانت لديكم روح المغامرة وتذوقتم هذا الطعام فسوف تظنون أياماً في الفراش تعانون من النزلات المعوية وأهوالها ، وتظل رائحة الطعام المحترقة ملتصقة بأسنانكم وتكرهون الطعام حتى يضعف بصركم وتشاهدون أشباحاً تتحرك أمامكم ، أن الطعام يظل مكشوفاً طوال ساعات فلا تقترب منه ولو ذبابة ! أتدرون لماذا ؟ أحد الأسباب هو سوء طعمها ورائحتها ياليتها عمرت بيت أهلها ، لقد سئمت منها ومللتها ، لاخير من وجودها ولكن هيهات أن تسول لى نفسى الخلاص من شركها ، لقد كان شرطها وأهلها أن تكون الشقة باسمها ، ولن أذهلكم عن مؤخر صداق ثقیل القيمة سوف يدفع أيضاً عند فراقها .

لسوء حظى أنها قدرى وأنا قدرها ، ليتنى مت قبل أن أراها وأفتن بها ويعطرها ويقوامها ، فاحذروا يا إخوانى من حواء ومن سهامها وسمومها فلا خير في زوجة جميلة حمقاء لا عقل لها فالعقل زينة كل حواء وسنامها وهو أساس للحياة الصادقة وراسخ بنائها .

فإذا أراد أحدكم الزواج فلا يتبع القلب والهوى وحدهما ، فهما أصل المصائب كلها وليغلب العقل قبلهما ، لا تتزوج الجميلة الحمقاء فتشقى معها وتلعن جمالها ، ولا تتزوج امرأة من أجل مالها وحده فلا قيمة له أن لم تكن ذات دين يصونها ونسب يعلو بها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك فتریح السعادة كلها .





الاعتراف الثاني زوجة لطيفة

جلس الرجل غاضباً يتمتم بكلمات ويتوعد ، وتطايرت من عينيه نظرات بالشّر تتوقد ، وظل محدقاً إلى القفص ثم اقترب أكثر واقترب وأمسك بقضبانه وقسمات وجهه تظهر أنه يضمّر في نفسه الشر والغضب ، قال الأسد : يا هذا ماذا أغضبك ؟ يبدو عليك الهم ويبدو أنك قد إرتويت في يومك كثوسا من المر ! ألا تدري أنني جار لكم ؟ والجار له نظرة الرد لا نظرة الشر .

قال الرجل : كيف أشكو لك وأنت شبيه رفيقة العمر !

الأسد مندهشاً : أو قد تزوجت أختنا ؟ !!!

الرجل : لا ... بل هي بشر والله قد خلقها وكأنها قمر لكنها في عنفها أسد ، إذا غضبت تأججت كالمهل إذا ما إحتواه القدر ، وإذا

ثارت فعاصفة مدوية عاتية لا تبقى ولا تذر

قال الليث غاضباً : عساك أغضبتها وهكذا الأمر .

الرجل : بل قل أحببتها وأسكتتها في ذلك القصر وفرشت لها قلبي لترفل عليه وقلت لها من دونك العمر

الليث مقاطعاً : معذرة يا عزيزي وتقول شبيهي ! أهتينا والله ولم تأخذ في وصفك الحذر .

الرجل : سامحني فأنت لا تدري ما الأمر ، لقد عانيت من قسوتها سنوات وسنوات حتى إشتهيت الموت والقبر

الأسد : لقد عذبت بها فهي قدرك ومن منا يا صاحبي يهرب من القدر !

الرجل : لقد عرفت مصيبتى وسبب حزنى وغضبي فلماذا يبدو على وجهك أنت أيضاً الهم والكدر ؟

الأسد : أه يا صاحبي ماذا أقول لك والقلب بداخله الكثير إننى عندكم داخل الأقفاس أسير ، لقد سلبتم حريتى وأخذتمونى من غابتي وقد كنت فيها الأمير ، تشرق الشمس وتغرب ولا يشكو أى حيوان من الظلم أو التقصير ، لم أسجن أحداً أبداً ولم أظلم يوماً أى حيوان كبير ، كنت عطوفاً بأولادى ، ودوداً لزوجتى التى كنت لديها الأثير ، و من عطفها على وإخلاصها لى صفت لى الدنيا وكأنى عضو فى مجلس النواب أو كأتى وزير ، ومن رضا قومي عنى كنت واثق

الخطوات أسير، آتى الغزلان صائداً لأطعم أطفالى وأمير؛ فلست شرساً كما وصفتنى فتلك أخلاق الحقير الذى يصيد الفرائس العاجزة، ويأكل حقوق الفقير وهو شعبان وغارق فى النعيم، من يترك رعيته بأثواب بالية وهو يمشى على الحرير، من يجمع الذهب والفضة ويكثرهم خارج الغابات ولا يترك لقومه إلا الفقر المقيم، من يغلق قلبه ولا يستمع لشعبه، ويغلق أذنيه عن شكاوى المعدمين وأهات الفقراء والمساكين، من يغلق أبواب المستقبل ويدفع شعبه إلى التخلف المهين، أرأيت يا صاحبي أنك قد أسأت إلى بلا تحفظ أو ضمير، إنما تكون شجاعة الأسد فى نبل الطباع وليس بمدى علو الزئير، يا صاحبي عد إلى بيتك فقد أوشكت الشمس على الرحيل.

الرجل: وإذا عدت إلى بيتى ووجدت زوجتى تطلق للحرب ألف شهيق وزفير؟

الأسد: عندئذ أعلم أن بيدك الكثير، إرفع رأسك وكف عن الشكوى والتذلل والتصغير، وكن حازماً فى ترفع كبير وانصحبها أن تستقيم معك فى الحياة وتوقف العنف وسوء الأدب والتكشير، وإن لم تغلح هذه فأنذرها أنه قد أن الأوان للتغيير.

الرجل: إقترب أيها الأسد العظيم

الأسد: لماذا أقترب؟

الرجل: أريد أن أقبلك أيها الناصح الأمين

الأسد: لا شكراً لا أريد التقييل

الرجل : إنهم يغلقون أبواب الحديقة ، أستأذنك في الرحيل
الأسد : إذهب بسلام يا صاحبي ، وعد إلى زيارتي وأنت سعيد ، أن
الزواج يا صاحبي كطائر جناحاه هما الود والحب وبدونهما لا يطير ،
والحب والود هما بهجة الحياة وبدونهما لا تسير .





الاعتداف الثالث حب بلا هوية

كانت تلك الليلة فاصلة في حياتي عندما قررت أن أغادر قريتي ، وضعت المال في حقويتي ، وفررت في الليل حتى لا أعاير بعار فعلي ، سلكت الطريق الطويل المظلم الذي يتخلل المزارع ، مشيت في الظلام وكأنني طفل مشرد ، تائه وضائع ، ظهرت من بعيد أنوار محطة القطار وسمعت صوت القطار يدوي من بعيد وكأنني به يتعجلني للرحيل ، إنه القطار الأخير فنحن في الثلث الأخير من هذا الليل البهيم ، أسرعت في خطاي رغم ثقل قدمي ، لحقت بالقطار وقفزت داخله ، تجولت داخل عرباته بحثاً عن مقعد شاغر ، وكلما وجدت واحداً وهممت بالجلوس عليه يتبته إلى الجالسون وينظرون ويحدقون فأغادر العربة إلى غيرها حتى وجدت عربة مناسبة نصفها شاغر والنصف الآخر فيه الناس نيام من شدة الإرهاق وقسوة الأيام ،

جلست على المقعد ساكناً بلا تفكير حتى تهدأ ضربات قلبي وتهدأ الأنفاس في صدري، إنني أشعر بخوف شديد فعند بداية اليوم الجديد ربما سيعرف الجميع أنني قد فررت وأظن أنهم لن يعجبهم ما قررت وما عليه أقدمت، إنني كالهارب من تنفيذ حكم الإعدام.

دخل بعض الناس وجلسوا حولي، وضعت نظارة سوداء على وجهي فزادت الظلام فوق الظلام، قلت لنفسي: «لا تخف»، تنفس تنفس بعمق واهداً، فلن يعرفك أحد، لقد غيرت شكلك، لقد حلقت لحيتك وقصصت شاربك وخلعت بدلتك وإرتديت هذا الجينز والتي-شيرت، تنفس واهداً فأنت في القطار المتوجه إلى مدينة حبيبتك، وتهد هاشم وقال في نفسه: لقد أحبتها، لقد رفعت معرفتي بها نفسي وانغرس حبها في قلبي، إنني لم أعد أسمع إلا صوتها، ولم أعد أرى إلا طيفها، إنني أعترف بعشقي لها، أن حبها يعطيني لذة لا حدود لها، لذة تهون على نفسي مصابرة البلاء ومعاناة الشقاء الذي سوف ألقاه من خالي «كبير العائلة» ومن أبناء خالي وخالاتي وأبناء أعمامي وعماتي ومن أصدقاء طفولتي ومن أهل قريتي، لقد عادت دقات قلبي تتسارع، سوف أهدأ قليلاً فلقد تعبت، وضع المسكين رأسه على زجاج النافذة وأغمض عينيه وسافر خياله وسبق القطار ووصل إلى المدينة ليجد حبيبته «نادين» في الانتظار وهي ترتدي ثوباً رائعاً زادها في الحسن والدلال، نزل مسرعاً إليها والفرح يغمر قلبه فلقد ولى الليل بظلامه وهوله وجاء النهار بنوره وأنسه، أمسك بيد أميرته الفتاة، وزكبا سيارتها وطافت به شوارع المدينة الواسعة،

وحدثتها الخضراء وضحكا معا في سعادة وصفاء ثم وصلا إلى حيث تقيم ، إنها فيلا والدها الطبيب المشهور ، إنها فيلا كبيرة في أرقى أحياء المدينة ، أقبل الوالدان يهتنان ويستقبلان الحبيبان ، الأنوار والزينة في كل مكان وفي وسط المدعوين رأي خاله الكبير ، إنه رجل مهيب ، لقد أتى بعبائته السمراء ، في القرية يهابه الكبير قبل الصغير ، لقد أقبل عليهما ، و السعادة ظاهرة في عينيه عندما رأى ابن أخته فيما هو عليه ، سمع بعض المدعوين يقولون : من كان يصدق أن «نادين» الإبنه الجميلة المدللة تقع في غرام زميلها الفقير «هاشم» ابن القرية وحفيد الفلاحين ، نظر إليهم هاشم وقال : إنه الحب الذي لا يخضع لقواعد أو قوانين أيها الحاقدون ، وأنا أيضاً وسيم وأهلي في القرية محترمون وأنا مثلها طبيب وأمتلك عدة فدادين فسمع صوتا جهورياً يقول : «تقصد كنت تمتلك أيها المسكين» ثم قال والد «نادين» : أين مهر إبتني ؟ قال هاشم : إنه هنا في حقيتي ، نظر هاشم إلى خاله فإذا بوجهه يتغير ويتبدل ويتنفخ من الغضب وصاح فيه : من أين جئت بالمال؟

قال هاشم وهو يهمس في أذن خاله : لقد بعت أرضي أيها الخال ؟ سأله في غيظ شديد لماذا ؟

قال : هكذا كان شرطها ، ولأنني أردت أن أكون رجلاً بنظرها وأمام أهلها ، لطمه الخال على وجهه وقال : أيها الغبي أن المال لا يصنع الرجال ، ولكن الرجل يكون بقوة شخصيته وجديته وحكمته وسمع الآخرون يضحكون ويتندرون ويقولون : غبي إنه غبي

.... لقد باع أرضه من أجلها وأخذوا يجذبون منه الحقيبة فتشبس بها ، واستيقظ من غفوته فزعا فوجد طفلاً بجواره يعبث بأطراف حقيقته ، جذبها إلى صدره وجلس صامتا وقد أحس بانقباض في قلبه وعاد الحزن يظهر على وجهه ولاحظ هاشم أن هناك من يحدق فيه إنه هذا الرجل الجالس أمامه مباشرة ، إنه لا يدرى متى جلس هنا لكنه ينظر إليه مباشرة ، تسائل هاشم في نفسه : هل هذا الرجل من قريتي ! إنني لا أعرفه ولكن ربما هو يعرفني ، ربما كان يعرف أمي وأبي رحمهما الله ، لماذا يحدق هكذا هل عرف بأمرى أهو غاضب منى ؟؟؟

لا إنه لا يعلم بأمرى إنني أعرف تلك النظرة التي ينظر بها أهل القرية لمن يفرط في أرضه ويبيعها ، إنها نظرة تحقير وتصغير ، إنها وصمة عار أبدى لا تتمحى أبداً ولا ينساها أحد ، ولكن تلك النظرة على وجه الرجل إنها نظرة غامضة وليست غاضبة ، فيها كثير من السكينة والرحمة ، ولكن لماذا يرتدى نظارة سوداء مثلي ! هل هو أيضاً هارب من شئ ما ؟ لا أدري لقد تعب عقلي ... بعد طول صمت قال الرجل المحدث لهاشم : ما اسم المحطة التالية ؟ أجاب هاشم بتهكم : أن الاسم مكتوب على اللوحة أمامك ، فقط انظر من النافذة ! تلفت كل الواقفون والجالسون ونظروا مليا إلى هاشم الذى بدا مستغربا من نظراتهم ، قرأ في الوجوه نظرة الاستنكار ، بينما ضحك بعضهم كثيرا ولم يفهم هاشم ما حدث إلا عندما توقف القطار ، وأخذ أحدهم بيد الرجل ذو النظارة السوداء ليساعده على النزول من القطار ، فهم هاشم

أن الرجل الذى ظل يحرق فى وجهه طول الطريق كان أعمى ، شعر بالخرج من نفسه فإذا بالطفل بجانبه يمد إليه يده ويقول :هل تريد أن تنزل هنا أيها العم ؟ فأجاب بالنفي وقال : أن المدينة هى محطته التالية فقال الطفل لسيدة فى المقعد أمامه : ساعديه عند النزول من القطار وإنصرف الطفل مع أمه ، أخذت هاشم نوبة من الضحك على ما حدث رغم ما هو عليه من الحزن ، وقال فى نفسه ، لقد ظن الناس أننى أيضاً أعمى لأننى أرتدى نظارة سوداء ، وتذكر معنى الآية الكريمة : «إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور» أخيراً وصل القطار إلى المدينة الكبيرة ، زحام فى كل مكان ، إنها الخيوط الأولى التى ترسلها الشمس لبداية النهار ، وقف فى ركن هادى ، احتضن حقيقته ، أخرج هاتفه الخلوى ، اتصل بحبيبته فلم ترد ، أرسل لها رسالته : (حبيبتي ، جئت إلى مدينتك ، حاملاً مالى ، حبك يملأ قلبى وينير عقلى ، انتظرينى فى منزلك ، فى الخامسة مساءً سوف أقابل والدك وأطلب يدك) ثم ذهب هاشم إلى أحد الفنادق وصعد إلى غرفته ، وضع حقيقته تحت وسادته ، ووضع رأسه فوقها ، وراح فى سبات عميق وهو فى حالة من الإرهاق يرثى لها .

فى الثالثة عصراً ، استيقظ هاشم ، أعاد حلاقة وجهه عدة مرات ، تأنق فى ملبسه ، أخذ حقيقته ، إنها الرابعة نزل من الفندق ، استوقف تاكسيا وقال له بعظمة على عنوان فيلا حبيبته ، أعجبه نظرة الاحترام التى نظر إليه بها سائق التاكسي ، وقف أمام الفيلا وأجزل البقشيش للساائق ومشى فى خطوات الواثق ، ودخل من باب الفيلا الذى كان

مفتوحاً ، وصعد درجات السلم الداخلى وقرع الجرس وجاءت الخادمة : سألهما في ثقة عن سيدتها نادين فأجابت إنها في الحديقة الخلفية مع أصدقاءها وفي داخل حوض السباحة سوف تجدها ، مشى هاشم وحقيته في يده ، وجد عددا كبيرا من الفتيان والفتيات ، لقد دعت الأصدقاء ، إنها تنتظر قدومه وتعرف مقصده لا ضرر من وجود الأصدقاء المهم إننا معا ، ولكن ما أن وصل هاشم إلى الحديقة الخلفية حتى دارت عيناه يبحث عن فتاته المعنية ذات الملامح الملائكية فلم يجدها فنظر داخل حوض السباحة ، لقد رآها ، نعم رآها وبالهول ما رأى ، ليته لم يرها ، إنها ترتدى ملابس فاضحة ، الحقيقة إنها لا ترتدى شيئا ذو قيمة ليسترجع جسدها ، إنها تخرج من حوض السباحة وكأنها لم تراه ، ماذا يحدث هنا ؟ !! ماذا يفعل هؤلاء الشباب حولها هل هم يتفاذفونها أم أنها هي من ترمى نفسها !! ما أقيح شكلها وما أقل عقلها أين حياؤها ! أين أبوها وأمهات ؟ كان صوته عاليا ولكن أجدا لم يكثر له عدا الخادمة بجواره التي قالت : إنهما هناك يجلسان بجوارها ، وهم يستحسنون صنيعةها ، سألهما : هل هي دائما هكذا في تصرفاتها ؟ قالت الخادمة : نعم طوال عمرها ثم تفحصت في وجهه وقالت : هل أنت أيضاً صديقها ؟ قال : كنت أريد أن أكون زوجها و حكى لها قصته وبدلاً من أن تهون عليه خيبته ، أسرعته إلى سيدتها وهمسست لها ، انتهت «نادين» وجاءته تجرى وأخذته من يده وصاحت : يا أصدقاء لقد كسبت الرهان فقال : أى رهان ؟ قالت لقد تراهنا معى لكى أجعلك تغير شكلك وتحلق

لحيثك وشاربك ولكنني تماديت في التمثيل وطلبت بيع أرضك ،شعر
المسكين بزلزال عظيم يعصف بروحه وبقلبه ، وشعر بلفحات من
لظى الجحيم تلفح وجهه ، قال لها وهو يتنفس الصعداء : لقد
أحببتك وضخيت بأرضي من أجلك وأنت تعبين ! ، تعساً لك أيتها
اللعينة قالت له لا بأس لقد أحسنت إليك ببيع أرضك ، لقد
ابتعدت عن القرية وهوائها الذي تملأه رائحة الخبز ولا ترى حولك
إلا البرسيم ولا تسمع إلا نهيق الحمير وتدوس في الشوارع على روث
البهائم ، استمتع بإقامتك في المدينة وابتعد عن الفلاحين ، قال هاشم:
إنني أكرهك وأكره تلك المدينة الحقيرة وغادر المسكين المكان وقد
أظلم العالم من حوله ، مشى بخطوات ثقيلة لا يدرى أين تقوده
خطواته ، حقا إنها عظيمة مصيبتها ، لقد دارت به الأرض، وإنهمرت
الدموع من عيونه ، لقد تماسك كالجبل عندما مات والداه ، لم يبك
وقال لنفسه : لم أبك لأنني كنت رجلاً في ذلك الوقت أما الآن فأنا
خيال الظل لرجل ، تمنيت أن أرى أمي أمامي لأختبئ في صدرها
وأبكي على كتفها ، تمنيت أن يلطمني أبي على وجهي وأنا أقبل يديه
ليسامحني على ذنبي ، ليتني لم أكن ولدأ وحيداً بلا أخ أكبر ينصحنى أو
أخت حنونة تخفف عني ، ماذا أفعل وإلى أين أذهب ! لقد أوقعت بى
الماكرة..... إنها لا قلب لها ولا أمان لمن في مثل ثرائها ، يا إلهي
إغفرلى وسامحني ولا تنزل بى العقاب ، لا أستغيث بسواك يا مقدر
الأسباب ، أن أهل القرية سوف يتهافتون على تهافت الذباب على
الشراب ، سوف يقولون : عاد عواد القرية الخائب من مدينة الذئاب .

استقل هاشم القطار المتوجه إلى قريته ، لم يعد يهتم بأمر الناس ، وكأن قلبه قد توقف عن النبض والإحساس ، نظر في طريق العودة من النافذة ، رأى لحظات الشفق إنها حمرة السماء ، بلون الحياء الذي حرمت منه كثيرات من بنات حواء ثم غابت الخيوط الحمراء وزادت سرعة القطار وزادت معه ظلمة الليل في ليلة غاب عنها القمر في السماء ، رأى هاشم الأشجار في الظلام وكأنها وحوش عملاقة ذات أشكال مخيفة ذات أيادٍ متشابكة كثيفة وكثيرة ذات مخالب حادة وعنيفة وكأنها تمتد من وراء النافذة لتبتلع هذا الجالس الأحق المستهتر الذي خدعته المظاهر الكاذبة الزائفة ، لقد باع أرضه بأبخس الأثمان ليذهب إلى مدينة ليس له فيها مكان ، وصل القطار إلى قريته نزل ومعه حقييته ، مشى في الشارع الرئيسي في القرية ، مشى بخطوات ثابتة وسط الزحام ، لم يرتد نظارته السوداء ، ألقى على كل من عرفه ومن لم يعرفه السلام ، شعر أنه شجاع مقدام ، سوف يذهب إلى داره ليلبس جلبابه ثم ينطلق إلى خاله ، سوف يعترف بما فعله ويتنظر رد فعله ، قال هاشم : أنا تائب ، نادم ، إنتظرنى أيها الخال أنا قادم ، لقد عدت إلى وطني ولن أغادره أبداً ... لن أغادر ... لأننى نادم نادم .





الاعتراف الرابع

اسألوا بنات حواء (الدواء السحري)

أسرعت إحدى الطبيبات في إحدى المستشفيات تطلب المساعدة من الطبيب «فرحات» الذي جاء مسرعاً في دقائق معدودات ، قالت له :
ساعدني في علاج هذا المريض المجنون

صاح المريض : أنقذني أيها الطبيب وأخرج هذه الطبيبة وهؤلاء
المرضات وأغلقوا الغرفة بإحكام وأطفئوا الأنوار ودعوني لأنام
بهدوء وسلام .

قالت الطبيبة : ألم أقل لك أنه مجنون !

قال الطبيب: إنه ليس مجنوناً كما تظنين ، أنا أعرفه ، إنه صديق
قديم ، وبعد أن اختلى الطبيب بالمريض سأله عن سر تلك
المشاحنات فقال الرجل :

أنت تعرف أنني رجل بسيط الحال ، أعمل ليلاً ونهاراً بجهد واجتهاد لأوفر مطالب البيت والأولاد وعندما أعود من العمل لأستريح عدة ساعات معدودات ، أجد زوجتي وسبب مرضي ولوثتي منتظرة خلف الباب بقائمة لا تنتهي من أشياء وأشياء وأشياء ، ثم تضع أمامي أطباق العدس والفلول والخبز الجاف والماء ، اللهم لا أعترض فكلها خيرات ، ولكن الأسوأ من ذلك أنها تظل تردد على مسامعي أخباراً سوداء عن المرضى من العائلة أو الأصدقاء ثم تنتقل للحديث عن الموت والأموات ثم تندب حظها لأنها تزوجت من فقير مثلي ثم تأخذها النشوة فتغني موشحات الندم والنكد بصوت يأخذك إلى الكآبة والهم والحزن ، فإذا وضعت رأسي لأنام انتابتنى الكوابيس والأحلام بأشياء مفزعة تحاصرني وأخاف أن أفصح عنها في الكلام أما هي فإنها تنام وتستريح وهي في غاية البرود، فإذا طلع النهار أخرج من المنزل مسرعاً وأذهب إلى عملي عليلًا وأنا أتمنى ألا أعود

قال الطبيب فرحات : لك الحق أن تمرض وتنهار

الرجل : إنني أكره كل السيدات والفتيات ، وكل الزوجات لقد كرهت نفسي وكرهت حياتي الصماء ، العمياء ، البكماء التي ليس لها نهاية أو دواء فالיום هو الأمس ، والمستقبل أنظر له بكل البؤس ولا أرى فيه إلا مزيداً من الشقاء ، يا ليتني مت قبل الزواج و كنت نسياً منسياً .

الطبيب : إذن مرضك ليس مرضاً عضوياً فماذا تريد ؟

الرجل: أريد أن أنام

خرج الطبيب من الغرفة ودموعه منهمة قالت الطبيبة: ما قصة هذا المريض المجنون؟

صاح الطبيب: لا تنعته بالجنون ، إنه زوج مظلوم... مظلوم.....

قالت إحدى الممرضات: أيها الطبيب حدد لنا الدواء

قال الطبيب: غرفة هادئة مظلمة وأتركوه ينام كما يشاء

قالت الممرضة: أيها الطبيب لا تمزح ، حدد لنا الدواء

الطبيبة: ما هو تشخيص هذا الداء؟

الطبيب: أن دائه أن لديه زوجة جاحدة ، تسقيه كئوس العذاب وتشكره على شقائه بالشتائم والسباب ، لقد عرفت الداء ولكنني لا أملك الدواء.

قالت الطبيبة ساخرة: إذن من يملك الدواء !

قال الطبيب: إسألني بنات حواء .





الاعتراف الخامس

غيوم ونجوم

جلس سالم في غرفته حزناً ، مكتئباً وقد انفطر فؤاده ، لقد رحلت زوجته الحبيبة أم بناته وتركتة وحيداً في بحر الحياة يقاسى ويلاته ، كانت له نعم الزوجة المحبة ، لقد كانت ملاكه ، تذكر مواقف كثيرة تعرض لها في وجودها وكانت مساندها له هي طوق نجاته ، حتى إنه كان كالطفل يغضب من أبسط الأشياء ويثور وهي دائماً كانت تقابل ثورات غضبه بقلب أم حنون وتتجاوز زلاته

زاد الحزن على قلبه وانهمرت الدموع من عيونه وأخذ يفكر في حاله وشأنه ، إنه لا يستطيع أن يواصل حياته بدونها فالحياة بدونها سرداب مظلم ، لقد تعود أن يسير في ظل نورها ، كان يهرب من قسوة العمل إلى وارف ظلالها ، كانت تظله بالمودة واللين والرحمة والروح المرحية وحلاوة طباعها ، كانت قادرة أن تجعله ينسى ذلك العالم الجاحد

بعذوبة صوتها وجمال ضحكاتها .

سمع طرقات على الباب ، دخل أحد أقاربه ، وضع طعاماً له وتركه وانصرف ، نظر إلى الطعام ، إنه فقط طعام ولكن لا يرى له لوناً ولا يشم فيه رائحة ، تذكر زوجته الراحلة وسعادتها وهي تعد له الطعام ، أطعمة مختلفة تبتكرها دوماً ، ألواناً وألواناً من الطعام الشهي ، كانت أسعد لحظاتها وهي تطعمه بيدها ، كان الطعام يحمل رائحتها التي لا مثيل لها والأفضل من الطعام تلك البسمة الساحرة التي تضيء وجهها ، و كانت لا تفارقها أبداً حتى في مرضها .

في الصباح استعد سالم للذهاب إلى عمله وقبل أن يغلق الباب خلفه نظر حوله و كأن قلبه يبحث عنها و لكنها ليست هنا لتعيد تنسيق ربطة العنق ولتقرأ له آيات من القرآن الكريم للحفظ من الحسد ولتودعه بابتسامة وتتمنى له كل التوفيق في العمل ، أغلق الباب ونزل على درجات السلم ، حيث إحدى الجارات فرد التحية في خشوع وألم فلقد كانت تلك السيدة صديقة مقربة من زوجته الراحلة ، عندما وصل إلى مقر العمل ، فقد تركيزه ، بل فقد الأمل وانطلق مسرعاً بعيداً عن الناس ، رأى ضوء النهار داكناً ومشى وسط الطريق دون أن ينتظر وقوف السيارات وانطلقت الأبواق تحذره وتعالص صيحات الناس : أيها الرجل احذر ولكنه عبر الشارع إلى الجهة المقابلة دون أن يلتفت . أو يستجيب ، قال الناس ، يبدو أنه لا يرى ولا يسمع ، إنه مسكين ، حقاً سمع تلك الكلمة وشعر بصدقها إنه حقاً مسكين يدونها بل إنه يشعر أنه طفل يتيم ، لقد فقد قلباً كان يحبه ، وصدرأ كان يسعه ،

وروحاً كانت سكته وسنده ، إلى أين يذهب؟ سأل سالم نفسه وفجأة ، تذكر إنه يعرف أين يجب أن يكون وأنطلق يجرى ويجرى مسرعاً حتى ظن الناس أنه مجنون ، أخيراً وصل إلى حيث هي ، جثي على ركبتيه وجلس أمام قبرها وظل يبكي ويبكي حتى فقد وعيه وفجأة شعر بيد ناعمة و حانية تمسح بالماء وجهه ، نظر فإذا هي الزوجة والحبيبة ، ابتسمت له فانشرح صدره وذهب الهم عن قلبه ، سأله بصوت كالهمس أين الزهور ، قال لها إنني أعذر لقد نسيت أن أحضر لك الزهور في الغد سوف أحضر لك زهوراً كثيرة ، كما تحبين ، إنك تحبين زهور الياسمين ، قالت : لا أريد زهور الياسمين ولا أريد زهوراً كثيرة ، أريد فقط زهراي الثلاثة ، لم يفهم سالم ماذا تعنى ولكنه قال لها : سوف أحضر لك في الغد ثلاثة زهرات كما تشائين نظرت له بحزن وقالت لا تحضرهم ولكن اعتنى بهن ثم ابتعدت وابتعدت حتى اختفت أخذ سالم يكرر نداءه عليها ولكنها لم تجب ، حاول أن يلحق بها فوجد قدميه عاجزتين عن الحركة فأخذ يصيح ، فتح عينيه فوجدها أمامه ، قال لنفسه ، هذا طيفها الذي رأيته منذ قليل وأغمض عينيه حتى لا يتعذب من ضياع الطيف مرة أخرى ، شعر بها تضع قبلة على وجهه ، مد يده ولمسها ، إنها حقيقية ، تحسس وجهها ، فتح عينيه فوجدها بابتسامتها الساحرة أمامه ، يا الله ماذا دهاه ، إنها ابنته الشيماء وملاك جميل يقف بجوارها إنها ابنته الثانية «شهد» وقفزت الملاك الصغير «شروق» لتصعد بجواره على سرير المشفى وتقبله ، أفاق سالم وسأل الجميع ممن حوله عما حدث ؟ أخبروه أنهم وجدوه وهو فاقد الوعي عند مقبرة زوجته ، تذكر سالم وهو ينظر إلى تلك الوجوه الباسمة

والعيون الجميلة البراقة ، كلمات زوجته التي سمعها أثناء غيبوبته ، ولم يفهمها قالت : أين الزهرات الثلاث ؟ لقد مرت أيام كثيرة وهو يعزل نفسه في غرفته ويعيش حزيناً مكتئباً في وحدته ولا يستطيع أن يواصل حياته وينسى مصيبيته وفي تلك الأثناء نسى بناته وعزيزاته ، لقد احتفظت الجدة ، والددة زوجته الراحلة بهن حتى يعود إلى طبيعته ويستعيد قوته ونشاطه ، تجولت عيون سالم في الغرفة لقد اكتظت بأفراد العائلة والأصدقاء ، الكل جاء محبة له وكلهم رجاء ، قرأه في عيونهم أن يعود سالم الشاب المكافح القوى أفضل مما كان ، فكر سالم في رحمة الله ولطفه ، حقا لقد رحلت زوجته ولكن الله سبحانه قد أهداه هذه الزهرات وكلهن نسخة مشابهة لزوجته وأنه لم يتسم منذ رحيلها ولكن بناته الثلاثة يتسمن ويضحكن ويلعبن ويمرحن حوله وهن سعيدات أنه قد عاد من غفوته وسعيدات بلقائه ، جذبته «الشيما» من يده فجلس ثم جذبته شهد فقام ووقف وأسرعت شروق تقفز على صدره فحملها ومشى معهن وعاد إلى منزله ، أضاءت الزهرات أضواء المنزل وتعالن الضحكات والضحكات وعادت الحياة لقلب سالم من جديد ، وتذكر سالم في خشوع كلمات الرحمن الرحيم « أن مع العسر يسرا أن مع العسر يسرا » صدق الله العظيم





الاعتراف السادس

الحب بعد الخمسين

لن نقول كان ياما كان لأن هذه الأحداث حدثت في يوم من هذه الأيام ، وفي إحدى القرى كان هناك حمار عايش كذا في حاله مع صاحبه الذى أحبه كثيراً وكأنه أحد أخواله ، فلقد عاشا طفولتهما معاً في الريف وجماله ، جمع بينهما الحب الأخوى وكانت الصداقة مواله ، اعتمد عليه صاحبه في بعض أعماله ، في الصباح كان أنيسه ، وفي المساء كان وسيلة لنقله وترحاله ، عاش صاحبه وحيداً سعيداً لأنه ابتعد عن الزواج وأهواله بعد أن ذاق المر على يد زوجة غدرت بقلبه ونهبت ماله وانشغل الصاحب بالتجارة وزيادة أمواله ، والحمار أيضاً كان مخلصاً لصاحبه ومشغولاً بأشغاله .

ومرة في الطريق كان الحمار ماشياً يوصل حمولة شردت منه أفكاره ،

عندما قابل في طريقه جهمارة حسناء غمزت له بعيونها ، مشى عدة أمتار ثم توقف والتفت إليها لينظرها ، لقد زلزلت كل كيانه ، رأى نظرة الإعجاب في عيونها الفاتنة ، طبعا الخطاب يعرف من عنوانه ، وبعد عدة نظرات ، طلبت منه أن ينزل حولته ويجلس معها للتعارف قال لها : وماله ، شاف الدنيا جميلة معاها ، وكان ينظر لها بإحدى عينيه والأخرى كانت على شواله ، فقالت له ، انظر لي بهاتين العينين الجميلتين قال لها : إنه صاحبى ودى أمواله ، قالت له : سيك يا حبي من صاحبك ، فات الزمن عليك وإنك على الطريق سارح ، صاحبك ماله يزيد وإنك لا كسبان ولا فالج ، قال لها : فيه واحدة من البشر كانت سبب في وحدته هو أحبها وهى ظلمته وعذبه وأنا خائف من الحب ومراره رغم حلاوته وأحلامه ، قالت : إنك لا تدري كم أحبك وكم يسعدنى قربك ، أتمنى لك السلامة وروحي فداء لعمرى ، اجلس هنا بجوارى واشتكى لى من همك وسيك من صاحبك وسيبنى أشيل عنك ، ترك الحمار شواله وجرى وياها وطار عقله وهى تجرى أمامه كالغزال فى خفته ودلاله ، وتكررت اللقاءات وتكرر ضياع السؤال وكل أحماله ، وتحديث إليه صاحبه وسأله عن حاله ولماذا تغير وماهى أعداره ! نظر الحمار إلى صديقه وهى واقفة على بعد خطوات ونظر لصاحبه ، فعرف صاحبه أن هذه العيون مغرمات ، قال له صاحبه ألم أحذرك من هؤلاء الخبيثات ، إنهن يخبثن الغدر وراء الصدق والمر خلف الكلمات المعسولات ، إننى أخاف عليك منها ، فابتعد يا صاحبي عنها وسأغفر لك ما قد حدث وفات ، نظر الحمار إلى فاتته

فقرأ في عينيها نظرة التوسل والحنان فأدار ظهره لصاحبه وإنطلق إليها وترك صاحبه يغلي من الغضب كالبركان.

ومرت الأيام والحمار وفاتتته يتقابلان ويجريان ويمرحان حتى فرغ الطعام المخزون في بيت الحمار فقالت له إذهب لتجد عملاً نريد أن نأكل يا ابن الحلال ، خرج الحمار يبحث عن عمل وعاد بعد عدة أيام ومعه طعام وفير وكله سعادة وأمل كبير ، بحث عنها في بيته فلم يجدها ، بحث حيث كانا يجريان معا فوجدها بصحبة حمار شاب وسمعها وهي تقول له : يسعدني أن أكون أماً لأطفالك وأشيل همومك وأحبك في كل أحوالك ، صرخ المسكين من الصدمة وقال : ماذا تفعلين وماذا تقولين ومن هذا الأخير ! ألا تستحين ؟

قالت في هدوء : هذا خطيبي وكان مسافراً ثم عاد

قال الحمار وغضبه يزداد : وماذا عنى أيتها الحسناء !

قالت : لقد تسلينا في تلك الأيام ثم انتهى هذا الكلام. فاذهب لحالك واطركني لحالي في سلام.

ثار الحمار وقال : أتفضلين هذا على ، إنه في عمر أولادي !

قالت : إياك أن تسع إليه ولا تنسى إنني أيضاً في عمر أولادك وأنت في عمر والدي ، فاذهب واحترم شيبتك ووفر كلامك .

حزن الحمار ومشى يجر سيقانه وتذكر كلمات صاحبه : خليلك بعيد عنهم تحافظ على حالك ولا ينشغل بالك ولا يضيع مالك ،

ويكى الحمار وقال : ياويل لقد فقدت صاحباً لن أعوضه ، إننى هالك
..... هالك..... هالك

أحس الحمار بيد حانية تمسح على رأسه ، نظر من وراء دموعه
ورأى صاحبه الذى قال له : لا بأس يا صديقى ، تعالى معى وانساها
واعتبرها مجرد حادثة عارضة فما أكثر حوادث الحياة التى نتلقاها ،
ودعنا نمضى فى طريقنا وحياتنا كما كنا فى أيامنا السابقة ، وربما نقابل
يوماً أنا وأنت قلباً محبباً مخلصاً فنحظى معه بحياة هائلة ، فدعك من
الحزن ودعنى أحكى لك مزحة مضحكة : مرة كان فيه حمار عايش كده
فى حاله فهم الحمار وتبسم وقهقهه قهقهة التلميذ
الذى فرح بعودته لأستاذه





الاعتراف السابع

حكايات حارتنا

النهارده الصبحيه ، صحيت على صوت الست هنيه ، والست هنيه
دى إحدى جاراتنا ، وساكنه فى ثالث حارة بعد حارتنا ، وقلت
لزوجتى: الست دى دايمًا عصبيه وكل يوم تعمل دوشه على الصبحيه !
دى لازم تتعالج عند طبيب أمراض نفسية ، قالت زوجتى : دى مش
حاجة جديدة ، ماهى كل يوم مشاكل مع البت زكيه ، قلت لها : دى
البت زكيه دى حته بت من القرية عمرها ييجى عشر سنوات وطول
اليوم تغسل وتنظف وتكوى وتطبخ وتجيّب طلبات ، دى شغلها
يوأزى عشر سنات ، أنا شايف أن الست هنيه دى ست عديمة الرحمة
ومفترية ، قالت زوجتى : أنا شايفها ست عظيمة ، وأعتبرها قدوة لى ،
قلت :

شايف فى عنيكى نظرة لثيمة و كلامك فيه نبرة غريبة على ؟ قالت:
تعرف ليه الست هنيه دايمًا ترفع صوتها على زكيه ؟ قلت لها يا ترى
ليه؟ قالت : علشان الكل يعرف أن عندها شغالة ، وأنها ست قوية
وجامدة وشخصيتها فعالة وعلشان زوجها يخاف من صوتها العالي
ويعمل مائة خاطر لمقامها الغالى وعلشان توصل له رسالة إنه لو اتجراً
على عصيانها ورفع عينه وبص فى عينها ها يبقى مصيره زى زكيه ، وكل
الحى ها يعرف أن الراجل فى البيت هو هنيه والناس تتكلم وحكايات
رايحة وفضائح جاية .

قلت لزوجتى : الراجل الحر يموت ولا يعيش فى الذل يوم
قالت : يعنى ها يعمل ايه ؟ قلت : يطلقها قالت : ها ها دى العصمة
فى ايدها
قلت : يضربها بيد الهون على راسها قالت : ها يحاكموه قلت :
يعمل مجنون
ويعمل ليه ما هو فعلاً مجنون ...





الاعتذار الثامن

إلا زوجتي.....

في مجال الأعمال قد نضطر نحن الرجال إلى بعض الأفعال صغیرها وكبیرها وهذا من لزوم الحال ، ولذلك فقد تعودت أن أعود متأخرا من عملی لا أعلم شيئا عن أبنائی ، ولا عن زوجتی ولم أهتم أبدا بشأنها ، وكنت أروى لها عن حفلات الشواء التي أقيمها على شرف العملاء وعن ألوان الطعام وجمالها وعن السكرتيرة ومدى أناقتها ورشاققتها وحسنها ، وكانت تستمع وتنصت ، ثم تجلس تفكر ويطول صمتها ، ودائما يظهر الغضب و تكسو نظرة الاستياء وجهها ، فأقول لها إنها الغيرة إذن فتقول إنك لم تمدحني أبدا ولكنك قد مدحتها ، فأقول لها : إنها مجرد سكرتيرة فتقول : ولكنها امرأة وأقول لها : إنها عندي مجرد وظيفة .

ومرت الأسابيع والشهور ، وزوجتی دائما غاضبة وعابسة حتى

أصابتنى بالملل والفتور .

وفي أحد الأيام عدت من إحدى السهرات فلم أجد زوجتى ،
أخفيت غضبى ودهشتى ، ولما عادت سألتها فردت ببرود وقالت إنها
كانت في العمل ، وإنها تعمل سكرتيرة عند فلان وجلست تدخن
سيجارا ، وقالت إنه مثلك رجل أعمال وأخذت تحكى عن الاحتفال
وصفقات الأعمال ، طار عقلى وارتفع صوتى

وقلت : ولكنه رجل سىء السمعة ، إنه زير نساء ... إنه في غايه
الغباء ...

قالت : اهدأ يا عزيزى ، لقد كان مجرد عشاء.....عشاء
عمل...أنت تعرف كل هذه الأشياء .

- إنها ليلة سوداء ، لن تعودى لهذا العمل أبدا
- يا عزيزى ما أنا إلا سكرتيرة وحتى إننى لست بحسنة
- لا بل أنت أجمل النساء ، أنت ساحرة ولطيفة
- ولو يا عزيزى إنما أنا له مجرد وظيفة
- توقفى عن هذا الهراء
- ولماذا أتحمل أنا من أفعالك جهد البلاء !!!
- عزيزتى هكذا هى الأعمال ، إنها مجال الرجال ، وفي عملى
ينبغى أن أكون مشرفا .

- وفى بيتك ينبغى أن تكون منصفاً
- أرجو أن تتحملى حياتنا الحمقاء
- لم أعد أتحمل فلست بهذا الغباء ، إذا استقمت لى فأننا لك ،
وإن لم تستقم فمعذرة يا عزيزى والى اللقاء .
- لن أسمح بفقدانك فهذا شئ مر.
- قد يكون فى تجرع المر كل الشفاء.





الاعتراف التاسع

الطريق

أيها الشوق ترفق بي وارحمني فأنت لي نعم الرفيق وأجبنى هل أمضى في حياتي وأنسى ؟ أم أظل قابلاً أنظر بعيداً لأول الطريق ! أترقب قدوم الصديق !.

أنت مثلي تذكر جيداً يوم أن قابلت ذلك الصديق وما زال سمعي يردد صدى كلمات ذلك العهد الوثيق ، تعاهدنا على الود والمحبة وإخلاص الصديق للصديق ، تعاهدنا أن نكون دائماً معاً كفريق ، وإن فرقتنا الحياة بقسوتها وتشعب بنا الطريق ، أن نلتقي عند ذلك الروض البديع مع إشرقة فصل الربيع ، وحدث ما نخشاه وفرقتنا الحياة .

لقد جثت أيها الصديق وانتظرتك بشوق عظيم أكثر من شوق أم رؤوم لطفلها الرضيع ، انتظرتك بلا ملل أو يأس أياماً وأسابيعاً

ومازلت يأخذنى قلبى قبل قدماى إلى الروض البديع أنتظرك من شروق الشمس وحتى المغيب ، إننى بدونك طائر غريب عاجز عن التحليق ، إننى بدونك روح تاهت فى ظلمات المحيط تتخبط بلا هادى أو مغيب ، طال غيابك ، تعثرت خطواتى ، زلزل الحزن قلبى ، ويعثر إحساسي ، ترى هل نسينى الصديق ! أم أنه قد ضل الطريق ؟ توقفت عن زيارة الروض ، ولم تكد تمر سوى أيام معدودات حتى أحسست بشعور عجيب ، دفعنى للعودة الى تلك الجنة البشرية حتى صارت عندى عادة يومية ، تأملت الشمس عند شروقها وهى تطل على العالم بوجهها الأصفر اللامع و خيوطها الفضية التى تنير ما بين السماء والأرض ، تأملت الأشجار وهى تنحنى بغصونها الحنون وأوراقها الخضراء على الماء لترتشف من قطراته وتهمس إلى موجاته ، سمعت شدة الطيور وفهمت سر سعادتها ورددت معها نغماتها ، سبحت لله البديع فى الغروب ، عشقت الليل وسمعت مناجاة النجوم ، بهرنى القمر وهو يطل من سمائه الصافية وكأنه كوكب من الماس يتلألأ فينير بنوره ظلمة المكان ويمسح عن نفسى هموم الأحزان.

أخذتنى غفوة من النعاس ثم أيقظتنى ضحكات الأزهار وهى تنحنى خجلا بينما النحل يمتص منها الرحيق، وشعرت بنسمة باردة من الهواء تداعب غصون الأشجار وهى تهتز فى دلال وكبرياء، وسمعت خرير الماء وهو يجرى فى أنسياب وخفاء ولا يظهره سوى انعكاس أشعة الشمس عنه فيلمع مثل حجر كريم شديد النقاء، والشمس تارة تظهر نفسها وتارة أخرى تختبئ خلف السحاب وكأنها

تلعب معى لعبة الإخفاء، والفراشات الفاتنات دارت حول رأسى وأنا أسمع منها التسبيح والغناء، وجاء الديك الفصيح واستنكر ما أنا عليه من حزن كبير وشقاء وقال: لقد قطعت فى الحزن شوطا بعيدا !

قلت له: لقد أخلف الميعاد الصديق الوحيد

فقال لى: إذا أخلف الصديق العهد الوثيق فهو ليس بصديق .

قلت : ربما صادفته عقبات فى الطريق.

قال الديك: أن الطريق مفتوح كما ترى بدون تعويق ، لقد جانب هذه الصداقة التوفيق ، فلا تحزن وامض فى حياتك فالعمر ياسيدى قصير .

قلت: بل أنت سيدى أيها الناصح الأمين.

وأفقت على صوت البلابل والطيور وغادرت المكان ، ولكننى شعرت بحنين عظيم للعودة لذات المكان مرات ومرات وطال الجلوس هناك ، لقد ألفتى المكان وألفته ، أحسست فيه بالسعادة والأمان وأحييته ،ومرت الشهور والسنوات ومازلت أذهب للقاء أصدقائى وأحبائى الطيور والأزهار والأشجار هناك ، تجدننى فى الروض فى كل الفصول ، لم أعد منكسراً بدون الصديق ، لم أعد وحيداً ، فلى هنا فى الروض وفى الكون ألف صديق، وصديق لقد امتلأ قلبى بالنور وأشرقت روحى بالبهجة والسرور ... إنها فقط بداية الطريق





الاعتراق العاشد ربما كان كل هؤلاء

بينما كانت قافلة من الجن تعبر سماء القرية ، رأوا زحاما شديداً وأنواراً تتوهج بشدة في أحد أحياء القرية ، استوقفهم الجدل لينزلوا لاستطلاع احتفال القرية ، اعترض أحدهم وقال : «ولماذا هذه الأنوار بالذات ياجدنا لقد مررنا في سفرنا هذا عبر الأرض بأنوارا أكثر توهجا من تلك ولم ننزل لنشاهدها ، أن هؤلاء البشر يحبون كثرة الأنوار ولديهم إسراف في الاحتفال بمناسباتهم وكأنهم يلهون أنفسهم عما ينتظرهم » وقال الآخر : لقد عرفت كثيراً من البشر الحمقى ، الذين يسرفون في متع الحياة وزيتها والآخرة بالنسبة لهم نفق مظلم لا يتحدثون عنه أبداً .

صاح الجد: اخرسا ولا تسبقاني بالقول مرة أخرى ، لم تجذبني الأضواء إلى هذا المكان ، لقد أحسست بموجات روحانية قوية تنبعث من هذا المكان لم أشعر بها منذ دهر من الزمن .

انفلت العفريت الصغير من يد جده واستأذن منه في النزول بين جموع الناس ليستطلع الأمر فأذن له ، تشكل العفريت الصغير في شكل فراشة جميلة وأخذ يطير حول الجموع الجالسة يتسمع منهم وبدأ بمجلس الرجال ، سمع رجلان يتحدثان لبعضهما قال الأول : لقد كان الرجل مؤمناً ، متعبداً ، لم تمنعه أعماله يوماً عن الصلاة معنا في المسجد ، ناهيك عن كثرة صيامه في معظم أيام العام .

قال الآخر : نعم لقد كان نعم الإنسان الصالح ، كان رمزاً لكل معاني المروءة والشهامة وكان يسارع لقضاء حوائج الناس ، أن قلبه قبس من النور والإحساس .

طارت الفراشة نحو آخرين قال الأول : لقد بلغ الحزن مداه في قلبي عليه فلقد كان صديقاً مخلصاً بكل معاني الصداقة النبيلة . وقال الآخر : لم أر شخصاً في مثل نزاهته وأمانته في التعامل مع الناس .

وانطلقت الفراشة تواصل استطلاع الأمر فاقتربت من أحد الجالسين يبدو عليه المرض والحزن الشديد وكان يهمس لنفسه : يا إلهي ماذا أفعل الآن بعد فقدان هذا الرجل الطيب ، لقد كان كريماً محسناً رحمة الله ، لقد كان يساعدي بمبلغ من المال كل شهر لنفقات مرضى ولتعليم أولادي اللهم يسر لي محسناً مثله ولا تدعني لهؤلاء البخلاء من حولي .

وفي هذه الأثناء لمحت طفلة صغيرة بصحبة أحدهم هذه الفراشة فجاءت تمشي متلصصة حتى تمسك بها ، لمحتها الفراشة وطار على الفور حتى ابتعدت تماماً عن تلك الطفلة فإذا بها بمجموعة من الرجال يتحدثون ، قال أحدهم : لقد خسرنا اليوم جاراً عظيماً ، ما أرق

أخلاقه وما أجمل معاملته مع جيرانه كلهم سواء: الفقراء أو الأغنياء .

قال أحدهم والبكاء يغلبه لقد كنت خادمه وكان يعاملنى وكأننى صديق أو أخ شقيق ، تمنيت أن أفديه بأبنائى لو استطعت .

ظهرت الطفلة فجأة وانقضت على الفراشة فطارت بسرعة ودلفت إلى سرادق كبير مجاور ، إنهن نسوة بأعداد كبيرة وكلهن قد توشحن بالسواد والحزن يكسو وجوه معظمهن ، جلسن منكسات الرؤوس صامتات يستمعن لآيات عظيمة من القرآن الكريم وأخريات كن يتحدثن إلى بعضهن فى صوت الهمس ، اقتربت الفراشة منهن وسمعت إحداهن تقول للأخرى : لقد كنت أحسد زوجته عليه ، كان شديد الحياء والأدب ، قالت الأخرى و تقولين ذلك وأنت صديقتها ! ردت الأولى تقول : لقد كنت أشعر بالغيرة والحسرة على حظى مع زوجى كلما رأيته وهو يعاملها باحترام وأدب ويغار عليها ، وزوجى كان عكس ذلك تماماً ، وأنت شاهدة على ذلك ، قالت الأخرى : نعم أعلم وزوجى أيضاً أسوء من زوجك يا عزيزتى . وطارت الفراشة وقد ثقل رأسها بكل ما سمعته وصارت فى حيرة من أمرها من هذه الأقوال واقتربت من قلة من النساء ، قالت إحداهن : « رحم الله الحياء والأدب من بعد هذا الرجل الفاضل » وقالت أخرى : « لقد كان لطيفاً ، رحيماً ، ودوداً مع أهل بيته ومع كل الناس . وقالت الثالثة : « ما أعظم تسامحه مع من يسىء إليه »

سمعت الفراشة نداء الجد بالرحيل ، طارت الفراشة فى الهواء بعيداً عن الناس ثم استعاد الجنى الصغير شكله ولحق بعائلته وطاروا جميعاً متوجهين إلى وطنهم . استقبلهم الأهل بالفرحة والترحاب وجلسوا يتجاذبون أطراف الحديث ، نظر الجد حوله فلم يجد حفيده الصغير

فانطلق يبحث عنه ، فوجده يجلس على قمة أحد الجبال القريبة ، جلس الجد بجواره ، وسأله عما يزعجه فحكى العفريت الصغير لجدّه كل الأقوال التي سمعها ، قال الجد : هذه عادة بشرية يا عزيزي كلما مات أحدهم ، إنهم يجتمعون ويتحدثون عن حسناته ونيثاته في بعض الأحوال سأله الصغير ولكنى فى حيرة من أمرى يا جدى ؟ هل كان هذا الرجل : مؤمناً ؟ أم كريماً أم شجاعاً أم أميناً أم مخلصاً أم صادقاً أم محسناً أم

رد الجد مقاطعاً صغيره : ربما كان كل هؤلاء يا ولدى ، ومثل هذا الرجل وغيره يراهم البشر كتجوم السماء ، يهتدون بنورهم حتى بعد مماتهم .

إن مثل هذا الرجل البشرى يا ولدى تموت اجسادهم وتبقى ذكراهم وآثارهم ، بقاء الشمس والماء والهواء إلى ما شاء الله

سأل الصغير : هل نستطيع أن نكون مثلهم يا جدى ؟

قال الجد : نعم يا عزيزي فنحن أمة مثلهم والله تعالى فى علاه ربنا وربهم والجنة أو النار تنتظرنا وتنتظرهم .

قال الصغير : لقد أحببت هذا الرجل البشرى يا جدى هل هذا يغضبك ؟

قال الجد : أبدا يا عزيزي ، إن هذا يسعدنى وهذا دليل على فطرتك السليمة وقلبك العابد ، لا بأس يا عزيزي أن تحب البشر وتقضى بهم ولكن بدون أن تنسى هويتك وطبيعة أمتك .





الاعتراف الحادي عشر

حوار الملكان مع شيخ من بني الإنسان

في أحد هذه الأيام ،اجتمع ملكان ، أحدهما ملاك من ملائكة الحروب والآخر ملاك من ملائكة السلام ، جلسا على قمة جبل وعلى مقربة من صومعة يتعبد فيها عابد حكيم ، خرج من صومعته رأهما وأشار لهما بالسلام نظر إليه الملكان وانتظرا أن يقول لهما شيء ولكنه بدا وكأنه قد صام عن الكلام ، وجلس يسبح على مسبحته في صمت تام ، قال ملاك السلام: اللهم أنعم بالسلام على كل إنسان ، فالسلام هو سر الحياة وهو للبشر مثل الماء والهواء ، ليته يدوم ديمومة الحياة وحتى الوقت المعلوم للفتاء.

قال ملاك الحروب : السلام والحروب على الأرض توأمان فلا بد أن يوجد الخوف ليكتمل الشعور بالأمان ولقد كتب على الإنسان أن

يخوض معارك أبدية بين دعاة السلام وبين شياطين الحروب الهمجية

ملاك السلام : ألا تشجع الحروب أيضاً

ملاك الحروب : أشجع فقط الحروب النبيلة

ملاك السلام : وهل هناك حروب نبيلة !

ملاك الحروب : نعم وهى الحرب من أجل نشر السلام والأمان والأخلاق والفضيلة ، أن وجهك يدل أنك تحتاج إلى مزيد من الإيضاح.

ملاك السلام : نعم إذا تفضلت على بالإفصاح.

ملاك الحروب : إذا رأيت قوماً قد طغوا فى البلاد ورأيت الحرمان تستباح ، ألا تصبح الحروب ضدهم أمر مباح ؟

ملاك السلام : نعم زدنى من الإيضاح

ملاك الحروب : إذا وجد المفسدون الذى يدمرون الزرع والنسل ولا يصلحون ، ألا يستحقون أن نوقف إفسادهم ؟ أليس المفسدون فى الأرض فى القرآن ملعونون ؟

ملاك السلام : بلى ، إذن الحروب تصير مشروعة إذا كانت لقمع الطغاة والجبابرة والمفسدين أو لنشر قيم السلام النبيلة.

ملاك الحروب : أصبت فمن حق الأمم أن تخوض الحروب لتدافع عن همى حدودها وأرضها وسمائها ودماء أبنائها من عدوان

أعداءها المتربصين بها وللحفاظ على ثرواتها ونقاء مياهاها وهوائها وللحفاظ على عقول شبابها من كل الماكرين الذين يفسدونها .

ملاك السلام : إغدرني رجاء ، أتحارب الأمم بعضها من أجل الماء والهواء ؟

ملاك الحروب : إذا أرادت أمة ، أن تلوث الماء أو الهواء لأمة أخرى بغرض القتل أو الإيذاء فمن حق تلك الأمة الأخرى أن تدافع عن حياة أبنائها وترد كيد الأعداء .

ملاك السلام : أو يحدث ذلك !!!

ملاك الحروب : لقد حدث كثيرا في غابر الزمان ولا يزال يحدث في هذا الزمان وسوف يحدث طالما تمكنت ظلمات الشر من قلب الإنسان.

ملاك السلام : وماذا عن إفساد عقول الشباب .

ملاك الحروب : لقد تغير الزمن وتغير تفكير البشر في الحروب واخترعوا أشياء هائلة للقتل والإبادة والدمار وأشدّها فتكاً هو التلاعب بعقول الشباب ، بأفكار غريبة وعادات بغيضة وملابس العرى أقرب لها ، إنهم يأخذون بأيديهم إلى ظلام حالك وليل بهيم من العفن والضلالات .

ملاك السلام : انظر أن الشيخ يبكي حتى تبللت لحيته .

إنه مثلنا حزين يا الله يارحمي يا رحيم ، ما أشد ما يقاسيه بعض

البشر من ويل عظيم ، ولكن لماذا يكيدون لبعضهم كل هذا الكيد الممين ! لماذا لا يعيش الجميع متحابين ! في سلام تام و يقين !

صاح الحكيم : هذا لا يعقل ولا يمكن أن يكون.

فالتفت الملكان للشيخ وقالاً : أخيراً نطق الشيخ بعد طول صمت وسكون ، أخبرنا لماذا أيها الشيخ الحكيم ؟ لماذا يمحون سطور الحياة، من كتاب الكون العظيم !

قال الحكيم : لأن هذه هي سنة الله عز وجل من خلق الكون فلا بد للناس من الابتلاء ، فإما فردوس أبدي وإما عذاب مهين ولو شاء الله أن يعيش البشر في سلام أمين لخلقهم أمة واحدة مجتمعين على قلب واحد فلا يختلفون أبداً ولا يتقاتلون ، لكنه سبحانه وتعالى خلقهم مختلفين وكذلك أرادهم وهكذا خلقهم بالتنوع والاختلاف هو سر الحياة وشرع الحق لهم الثواب والعقاب وكل شيء يحدث على الأرض قد كتبه الله في اللوح المحفوظ المستمد من علمه السرمدى .

ملاك السلام : حديثك أيها الشيخ يسحر الألباب ، ولكن ماذا عنك هل أنت من دعاة الحرب أم من دعاة السلام؟

الحكيم : أن النفس البشرية معجزة إلهية ، إنها تركيبية معقدة ، فريدة ذات طبيعة متغيرة ، فهناك نفوس ضعيفة ذات طبيعة يغلب عليها الشر ، يفكر أصحابها ليلاً ونهاراً كيف يؤذون الناس ويتلذذون في قتل أهل البحر والبر وتراهم في الوقت ذاته يخافون على أنفسهم وأطفالهم من أبسط الأشياء ، وهناك نفوس قوية عظيمة تحب الخير

وتسعى في الأرض بالتعمير والإنماء ، يزرعون الأرض ويمهدون الطرق ويصنعون ويتججون وينشرون السلام بين الناس أجمعين

ملاك السلام : أولئك لهم من الله الإحسان.

الحكيم : وهناك نفوس المنافقين ؟ تارة تراها تغلي من الحقد غليان الحمم في البركان وتتمنى للسلام الزوال، وتارة تراها وهي ترفع رايات السلام ! رياء و سعيًا وراء منصب أو إرضاء لسلطان، وهذه النفوس لا خير من ورائها وليس لها عهد أو أمان.

ملاك السلام مخاطبا ملاك الحروب : كيف تساعد البشر في حروبهم المشروعة ؟

ملاك الحروب : إننا بأمر الله نحارب الى جانبهم ونلقى الرعب في قلوب الظالمين .

ملاك السلام : لماذا لم تعد تساعد البشر في تلك الحروب المشروعة ؟

ملاك الحروب : تكاد الحروب المشروعة أن تنتهي من العالم ، لقد زادت شراسة البشر وتلوثت نفوسهم من وساوس شياطين الأنس والجن ونزغاتهم بينهم.

ملاك السلام : إذا اجتمعت شياطين الإنس والجن في مكان فلا مجال لوجود الملائكة سواء ملائكة الحرب أم ملائكة السلام

صاح الحكيم : صدقت إذا اجتمع كل هؤلاء الأشرار فلا مجال

لوجود الأخيار .

ملاك السلام: أيهلك عندئذ الأخيار ؟

الحكيم: هناك مجال كبير لنجاة الأخيار ، باتحادهم ونزع الوهن عن نفوسهم والخوف من قلوبهم والغفلة عن عيونهم ليروا بنظر من حديد أعدائهم وألد الأعداء من كانوا من بينهم

ملاك السلام: أعدائهم من بينهم !؟

الحكيم: نعم هذا يحدث كثيراً في هذا الزمان

الملككان : كيف بربك أيها الشيخ يحدث ذلك ؟

الحكيم : أن الإنسان في هذا الزمان يمشى كمن ضل به سبيله وتشابهت عليه مسالكة ، في ليلة مظلمة قد غابت نجومها ، فيقف حائراً مضطرباً ، لقد كثر رؤساؤه ، وتعدد قاداته وتنوعت أمامه المذاهب واختلفت طرقهم وزاد البأس والاختلاف بينهم فلم يتفقوا في أمر من الأمور والمسكين واقف بينهم وهو حائر مذهول ، كل فرقة تزعم له أنها حصنه الوحيد وأن الآخرون أعداء جامحون ولا يزالون به حتى ينهار المسكين ، أن أشد البلاء أن تتفرق الأمة شيعاً وأحزاباً ، وأن تقطع فتجد العداوة والبغضاء بين الرجل وولده والرجل وأخيه والجار وجاره والصديق وصديقه ، فيصبح التباغض هو دستور البلاد ، وتصير الشوارع ساحات للحرب والدمار ، ويعم الخراب وينهار الاقتصاد.

ملاك السلام : من يفعل بهم ذلك ! من يفرق أبناء الوطن الواحد !

الحكيم: إنهم شياطين الإنس الذين يبغونها عوجاً ، يلتفون حول الناس البسطاء التفاف الحية بالعنق ، يقدرّون على الناس بالإلهاء والإغراء والإصغاء والفتن والمحن ، الإلهاء عن عبادة الله الخالق بألوان المتع الدونية التي يبدعون في تقديمها بعقول شيطانية لتبهر بها عيون محرومة وقلوب ضعيفة فيقعون في حبائلهم ولا يفلتون ، إنهم يجعلون الشباب أرجوزات هزيلة يتمايلون مع الأغاني القبيحة والعري والحفلات والمجون ، إنهم يقدمون القبح والضلال في كلمات معسولة تراها شهداءً جميلاً فإذا تذوقته يجف لديك الريق ويضيق صدرك أشد الضيق ، وتتوقف أنفاسك ، وتجحظ عيناك ، ويتحجر قلبك ولا يكون مصيرك إلا الهلاك.

ملاك السلام: إنهم قساة القلوب غلاظ الأكباد ، ألا يوجد في البلاد حكماء يحذرون أصحاب القلوب الطيبة من هؤلاء ، الذين هم أعداؤهم قبل الأعداء من خارج البلاد ، أن شروهم أشد من صواعق السماء ومن الزلازل والبراكين ، إنهم شر عظيم.

ملاك الحروب: هل شهدت حروباً شيطانية أيها الحكيم.

الحكيم: نعم حروباً كثيرة.

ملاك الحروب: حدثنا عنها .

الحكيم: رأيت الحرب ناراً تحصد الأبرياء ، الهواء يثث من رائحة الأشلاء ، والأرض تبكى من بحور الدماء ، لقد رأيت كثيراً من المذابح والفظائع والجثث تغطي الشوارع ، وتردم الأنهار وأدمى قلبي

اغتصاب الحرائر ، رأيت قذائف الموت بدخانها العقيم تسود صفحة النهار وسمعت أهات الشكالي البسطاء ، إذا رأيتما ذلك فسوف ينخلع من الحزن قليكما ، وعندما تريا عيون الأمهات الذين فقدن أبنائهن وتسمعا بكاء يعلوه الألم ، لن تتحملا مرارة انكسار نفوسهن الذى تكاد أن تنفطر له السموات سوف تشعر باللظى فى الصدور ، لن تتحملا بكاء طفل يتيم يجرى وسط الحرائق وهو جائع مشرد وحيد.

ملاك السلام يبكى كفى أيها الشيخ الجليل.

الحكيم : عذراً لك فهذا هو واقعنا المرير منذ زمن طويل.

ملاك السلام و الحروب : تعساً لهم ثم تعساً لهم ، لن يجدوا راحة لقلوبهم ، أنزل الله المنتقم الجبار بهم أشد البلاء

الحكيم : أن لهم قلوبا ، بكماء وصماء ليس لها شفاء ولا دواء ، إنهم يتلذذون من مشاهدة ضحاياهم وهم يقتلون ثم يجتمعون ويحتفلون ويرفعون الكؤوس

ملاك الحروب : لعنة الله على هذه الرؤوس.

ملاك السلام : أيها الحكيم لماذا تجلس هنا فى هذا المكان البعيد ، اذهب إلى قومك وافعل شيئاً لتخرجهم من هذا السعير

الحكيم : سوف أفعل أن شاء الله ولكن لن يتوقف مكر الشياطين.

قال الملكان معاً : وأقوى منهما المؤمنين ، لأنهم على الحق والله ناصر الحق المبين.

الحكيم: صدقتما وإنما أخذتني نزغة من نزغات الشيطان اللعين .

أعوذ بربي وربكم أن أكون من الجاهلين القانطين .

ملاك السلام : لا يقنط من روح الله إلا كل كفار أثيم.

الحكيم : صدقت وتباركت ، إننا أقوى من كل هؤلاء الآثمين الذين يؤازرهم أحقر الشياطين فلدينا ركن الله المتين ، ولدينا نور اليقين ولكن لا بد أن نكون متحدين، ونبذ الخلاف اللعين ونكون كلنا قلبا واحدا ودماء واحدة تضخ في ملايين الشرايين من أبناء الوطن الكريم ودوماً نكون متيقظين ، منتجين ، متقدمين وهكذا نكون لأعدائنا رادعين.

ملاك الحروب: ترى ما هي أسلحتهم أيها الشيخ الجليل ؟

الحكيم : لقد تعددت أسلحتهم فمنذ زمن المنجانيق إلى الدبابات والطائرات والبارجات والأساطيل والغواصات الضاربة في الأعماق إلى الأسلحة النووية والكيميائية والبيولوجية وكل منها تكفى لدمار وفناء البشرية، والسلاح الأقوى وهو الفرقة بين الدول وبعضها، وبين أفراد الشعب الواحد وبين أفراد الأسرة الواحدة.

ملاك السلام : اذهب أيها الشيخ الحكيم إلى بنى قومك وعظهم وساعدهم في تحقيق السلام ، إنى أراك ناصح أمين.

الحكيم : ولكنتى أتعبد الله هنا في صومعتى.

ملاك الحروب: أن تعبدك هنا لن يفيدهم، ولكن ينفعهم وجودك

بينهم، وسوف نكون لك بمشيئة الله ناصرين ومعضدين.

ملاك السلام : ادعهم إلى السلام وحبهم فيه حتى يحبونه
ويجعلون قلوبهم معابداً له ، قل لهم : أن السلام إذا حل في قلوب
البشر يوماً فلن تجتمع معه الهموم، وأن شموع السلام إذا أضيئت
صار نورها أقوى من نور النجوم، وإن نسائم السلام إذا هبت على
الأرض لوجلت منها رياح السموم، أخبرهم أن السلام غذاء النفوس،
ونهر عذب المذاق يروى ويشفى من الهموم ، قل لهم : أن السلام هو
ترياق الحياة ، وهو أغلى الكنوز وبدونه فإن الحياة لن تدوم.





الاعتداف الثاني عشر

حلم صابر

صابر صابر صابر .
كان هذا اسمى قبل أن يصير حالى .
منذ يوم قريب حلمت .
أننى قد قابلت .
أحد هؤلاء القادة .
الذين يشعلون نيران الحروب .
نظرت فى عينيه وفيهما قرأت .
الغضب والكراهية والغرور .
لفحتنى نيران قلبه .

- ولدغتنى أحقاد صدره.
- مددت له يدي بالسلام أضافحه.
- ❖ فاجأني أنه مد يده وسحب مسدسه.
- قلت له أنا فقط داعية للسلام.
- ❖ قال :لن يفيد معى الكلام .
- قلت نحن دعاة سلام.
- ❖ قال :السلاح أفضل من السلام.
- قلت لماذا لا نعيش معا فى سلام ؟
- انظر إلى خلق الله القدير فى الكون الكبير.
- يعيش التمساح الخطير وحوله صغار العصافير
- ❖ صاح فى جنون وقال: ألا تسمعون ؟
- إنهم يريدون السلام !
- قلت: لماذا تكرهون السلام ؟
- ❖ قال: نحن أيضا نسعى للسلام من خلال لعبة السلام
- قلت: ماذا تقصد يا شيطان الدمار ؟
- قال: نحن !
- ❖ لقد بدأت تفهم الكلام ، ثم يقتل بعضهم بعضا ، ويكثر

الهرج والكلام.

وهذا رائع وبعد ذلك تخلو الأرض من الأعداء ويحل السلام.

- تخططون وتدمرون وعندما تفضحون تقولون أى كلام.

- ❖ احفظ اللسان.

- أشعلتم الفتن والحرائق والحروب فى بلادنا ، لقد حرمتنا من

الامان .

- ❖ المهم أن نعيش نحن فى أمان.

- لقد جعلتم كل الذكريات جراح وألام.

- ❖ ماذا تريدون ؟

- نريد سلام السلاح.

- ❖ ماهذا الهراء ؟

- إنه الحل والدواء.

- ❖ ما قصدك ؟

- نريد من الدول العظمى أن تتزع الأسلحة النووية والكيميائية

و البيولوجية و نريد سلاحا مشروعاً للدفاع عن الأرض والهوية.

- ❖ فيتنو:

- نريد احترام القوانين الدولية .

❖ فيتو:

- نريد تعاون المنظمات الإنسانية.

❖ فيتو:

- نريد السلام العادل لكل البشرية

❖ دعنى من حديث الهراء فلدى حفل شواء

- أتقصد شواء الأطراف البشرية على نيران القنابل العنقودية ؟
- دفعنى بغدر ثم أفرغ رصاصاته فى جسدى بكل الوحشية والهمجية فسقطت وقلت : أهذه هى الحضارة الغربية ؟؟؟

تجمع حولى اخوانى وجيرانى ، فوجدونى فى آخر لحظاتى .

تشابكت سواعدهم ، وتجمعت قلوبهم ، إستيقظت ضمائرهم .

و تأججت همهم ، نبذوا خلافاتهم ، و وحدوا أمرهم .

شعر الخيىث بتلك الروح صانعة القرار .

فأصابه الذعر ولاذ بالفرار .

أخذت أهمس لهم: هل رأيتم كيف أن اتحادكم فيه قوتكم؟

وأن قوتكم فيها أمنكم ، وأمنكم فيه سلامكم؟

تذكروا أن اتحادكم وقوتكم وأمنكم هو سلاحكم .

واستيقظت من حلمى وأنا اصرخ مرددا تلك الكلمات

سكبت زوجتي الماء على وجهي وقالت :

أفق يا صابر ودعك من الأوهام ، أى سلام تتحدث عنه يا أبو
البنات ؟

إنه آخر المستحيلات





الاعتراف الثالث عشر

رحل رغم أنفه

كان لا يمل الحديث عن الدنيا وجمالها مهما كانت متاعبها وأحوالها و أمنيته الدائمة كانت في طول البقاء ، عهدته ضاحكا ، لاهيا، غافلا ، مستبشرا بعيش الهناء ، كانت الأعمال قلبه وعقله وسر سعادته العمياء ، أحنت له الدنيا رأسها ودثرت به عزها والكبرياء ، فقدرها كما تحب وصارت له أقرب الأصدقاء ، وكلما فاض المال في يديه كلما زاد حبه في قلبه حتى صار عنده مثل الماء والهواء ، ثم أدمن إنفاق المال على ملذاته البلهاء ، وأخذته الغفلة حتى استوى لديه الصباح والمساء ، كنت له الصديق والطبيب ومن صارحه بالداء ومن وصف له الدواء ، ولكنه تولى عنى بغضب واستياء ، رفض كونه مريضا ورفض تناول الدواء ، لاحقته بنصائحى فأبى فلما استيشت منه تركته لحياته الهوجاء ، واليوم جاءنى محمولا وغارقا في الدماء ، وجدته ضعيفا وشاحبا يناضل من أجل البقاء ، كان جزعا من شدة

المرض ومن شدة الإبتلاء

مكث أياما كثيرة في المستشفى للعلاج ولم يأت لزيارته أى من الأصدقاء ، هرب منه الرفاق كما هربت من عمر البغاء ، ورغم ما هو عليه من الشقاء ، جلس حالما يتذكر الكأس والليالي القمرء .

يا صديقى أهلكت نفسك بنفسك وتشكو من عدل السماء !! كم من الأعوام عشتها حرا طليقا تنعم بالهناء وتأخذ من النعيم كيف تشاء واليوم تنظر للطعام وتشتهيهِ ومالك إلا الماء ، فهل وعيت الابتلاء أم تراك سقيت من كأس الغباء !!

هل تذكر كم من المرات نصحت لك ، وكم من المرات قلت هذا هراء ، وببيدك أنت قد شربت كؤوس الردىيا للدهاء !!

مثلك يا صديقى ومثل من تجرع السم سواء بسواء ، نظرتى ببلاهة ثم انصرفت عيناه عنى ليتابع ذبابة أخذت تحوم حول وجهه

فحزن قلبى لأن عقله قد اختل للوراء بعد أن كان عبقرىا فى الأعمال والبيع والشراء ، لقد بعث حياتك يا صديق العمر مقابل ملذات صماء أوقعتك فى حبالها، وقذفت بك بلا رحمة فى بئر الشقاء، وأوصدت دونك النوافذ والأبواب ولا سبيل للفرار إلا إلى دار القرار .

وأأسفى عليك يا صديقى فلم يعد لك اليوم هاهنا بقاء .





الاعتراف الرابع عشر

أرجوحة الحياة

أحب الطيب زميلته و هي أيضا أحبته وكان والدها واحدا من ذوى الألقاب ، ظن الطيب أن الحب يذلل الأسباب ، فذهب إلى منزلها لطلب يدها من والدها صاحب السلطة والمقام ، ثارت ثائرة الرجل وأمر الطيب أن يخرج من الباب وألا يكرر مقابلة ابنته وإلا قام بتقطيعه إربا وقذفه للكلاب ، ولم يكتفى بذلك بل قذف الطيب وعائلته بأفطع السباب ، كانت له سطوة وقوة فهو ممن يسمونهم للشعب نواب

قال له صديقه النائب : دعنا نأتى بهذا الطيب عند قدميك معذرا يقبل الأعتاب ، ويقبل الأيادي والأكعاب ، فقال متعاليا : هذا شرف لن أعطيه له فما هو إلا طيب بائس يلبس بالى الثياب وفي اجتماع

المجلس وقف السيد المهاب الذى أمضى عشرين عاما فى مجلس النواب يهاجم الأطباء ويسخر من فقرهم وجهلهم وحقدهم على المستويات الاجتماعية العالية الممثلة فى النواب ، وتطوع الكثير من النواب للمجاملة فوصفوا الأطباء بأسوأ الألقاب ، وانتشر الخبر فى المدينة وأصبح الطيب حديث الأعداء والأصدقاء ، وطاردته الصحف والمجلات بمقالات مستفزة وقالوا عنه أنه إذا لم يكن مدمنا فهو شديد الغباء ، عاش الطيب غريبا فى بلده يتجرع ويلات المرارة والعذاب وكره اليوم الذى أحب فيه زميلته عالية الأنساب ، ترك الديار موليا وهاربا وكأنه مجرم ذليل وسافر إلى بلاد الأغراب ، بلد أوربي لا يعترف إلا بالعمل والذكاء ، مضى بقوة وعزم يأخذ بالأسباب ، مرت عليه السنوات الأولى ثقيلة وكأنها أحقاب ، ثم انطلق فى نجاحه كالسهم الصائب وحصل على أعلى الشهادات ، وأعطاه الله المهارة وارتقى فى الأسباب ، صار جراحا ماهرا مكرما من ذوى الألباب ، وبلغت شهرته الأفاق ، وتناقلت أخبار نجاحاته الأنباء ، ورغم مرور سنوات طويلة فإنه لم ينس يوما أيام الشقاء ومرارة الظلم فى بلاده ، وجفاء الأصدقاء .

فى هذه السنوات تغيرت فى بلاده خريطة المناصب وتبدلت الأحوال ، وزال السلطان عن أهل الحبيبة السابقة وأصابهم المرض والداء ، سمعوا أن فى تلك البلاد طبيبا مشهورا ، ربما يملك لهم الدواء ، قابله بعد طول انتظار وعناء ، ودفعوا فاتورة ثقيلة الحساب ، دخلوا عليه فعرفهم وعرفوه وقالوا : يا خيرة العلماء ، يا زين الشباب ،

يا سلالة الأحساب ، اشفى مريضنا يا من تملك الأسباب ، قال
الطبيب معاذ الله ، أن الله هو الشافي الوهاب ، ولما رأى ذلهم ، وبؤس
حال مريضهم ، سامحهم بقلب طيب شديد النقاء ، بعد عدة سنوات
عاد لوطنه عزيزا مكرما مستقبلا بالحفاوة والترحاب ، قال الطبيب :
سبحان من وهبنا الحكمة ورد علينا الأهل والأصحاب .





الاعتراف الخامس عشر كرة أرضية حمراء

بينما كنت أقود طبقا طائرا خارج غلافنا الجوى ، مرقت إلى السماء
الواسعة ذات اللون اللازوردى ، ونظرت عن بعد لكوكبنا الأرضى ،
من خلال تلسكوب فضائى ، رأيت مساحات واسعة من مياه
المحيطات ، والأنهار ، والجبال ، والصحارى وقد تلونت باللون
الأحمر القانى ، يا إلهى لا أحب اللون الأحمر ، إنه يفزعنى ويخيفنى ،
إنه يحطم قلبى .

ترى ماذا حدث لكوكبى ؟

فزعت على أمى وأبى ، وعلى إخوتى وعلى جيرانى وأهل قريتى
وعلى أهل مدينتى ودولتى و كل قارتى ورفقاء بشرىتى
وسألت رفيقتى ما هذا اللون الأحمر ؟

قالت إنها الدماء ، دماء الضحايا الأبرياء ، أو ضحايا الأهواء

- أهواء من ؟

- أهواء قوم قد ضلوا ، ولعبت بقلوبهم الأنواء

- من هم ؟

- إنهم قادة الحروب الأذكاء

- يا للشقاء لقد اغتالوا الصحراء الصفراء ، والمحيطات الزرقاء

والمروج الخضراء والجبال ذات الجدد متعددة الألوان ، إنهم جميعا

ينزفون الدماء

- إنهم يمزقون الأرض بأكلة الحرب اللعينة الحمقاء

- إنهم يقتلون الشيوخ والأطفال والنساء

- إنهم يضعون الخطط ويلفقون الأسباب ويستعجلون الفناء

- ويبقى ظلمهم وكذبهم وبتانهم على سطور الكتاب

- إنهم يدمرون الدروب ويتباكون على السلام المسلوب ،

وأخذتني نوبة من البكاء حتى استيقظت على صوت المذياع ييثر

أخبار الحروب ، تحطم قلبي من هذا الكابوس المخيف وجلست

أنتظر السلام ، ولكن أنى للزهور أن تنبت في الخريف !!!





الاعتراف السادس عشر

صغيرتنا

صغيرتنا ، بنيتنا ، مليكتنا ، حبيبتنا ، تسألين لماذا نكثر من النظر إليك ! لأننا نعشق نظرة عينيك ، ونرى فيهما نوراً أخضر يفتح لنا أبواب الجنة ، فنشرب من أنهارها حتى نرتوي ثم نتناول فاكهة جميلة من أغصان تتدلى.

رموشك مجاديف لقارب نجاتنا ، تحملنا بعيداً عن أسباب هلاكنا ، تسبح بنا عبر الأنواء ، تهدينا بدون أضواء ، تردد ذكرنا عبر الأرجاء وتجدد أعمالنا بعد الفناء.

دموعك النقية عندما تنزل على وجنتيك الورديتين ، أقسم أنها تنير المكان ، وكأنها حبات اللؤلؤ والمرجان ، تثير الشجن في القلوب ويتوقف عندها الزمان .

بسمتك محيط أزرق ، نسبح فيه على أضواء مرحك وسعادتك
ونتوغل داخله ولا نفرق ، وتنزل علينا فيه الخيرات وعلينا تغدق .

صوتك موسيقى عذبة ، يتردد صداها في الأذن ، وتردها قلوبنا ،
ونرى مداعبتك من الإيمان ، رأينا طيفك في أحلامنا قبل أن تصيرى
واقعاً جميلاً أسعد الله به حياتنا .

ضحكاتك تتوالى مثل شلال مياه يتدفق ، تنثرين السعادة في القلوب
وتسقيننا حتى نرتوى ونسعد ، وعندما تبكين ينقبض القلب والروح
تتجمد .

خصلات شعرك الصغيرة تتمايل مع نسيمات الهواء وكأنها فروع
خضراء لشجرة وارفه الظلال ، دائماً تزيد وتتجدد .

صغيرتنا ، بنيتنا ، مليكتنا ، حبيبتنا لقد خطوات أولى خطواتك فامشي
معنا يا عزيزتنا فنحن رفقاء حياتك ، أنار الرحمن بالإيمان ذاتك وحفظ
الله عثراتك .



الفهرس

عندما تتحدث شهرزاد عن آدم	٣
مقدمة	٥
اعترافات آدم	٩
إما عروسه !!!!	١١
زوجه لطيفه	١٥
حب بلا هويه	١٩
اسألوا بنات حواء (الدواء السحري)	٢٧
غيوم ونجوم	٣١
الحب بعد الخمسين	٣٥
حكايات حارتنا	٣٩
إلا زوجتي	٤١
الطريق	٤٥
ربما كان كل هؤلاء	٥١
حوار الملكان مع شيخ من بني الإنسان	٥٣

- حلم صابر ٦٣
- رحل رغم انفه ٦٩
- أرجوحه الحياة ٧١
- كره أرضيه حمراء ٧٥
- اعترافات ادم وحواء «صغيرتنا» ٧٧
- الفهرس ٧٩

